

فوتوغرافيا

بعد «الشوير وتلالها - سجل مصور» (2013) الذي جاء ثمرة جهد توثيقي يغطي البلدة اللبنانية من العقد الأخير للقرن التاسع عشر إلى مطلع الستينيات، ها هو بدر الحاج يصدر أخيراً «بيروت - ضوء على ورق: 1850 - 1915» (دار كتب للنشر). لا يحيد الكتاب عن همّ الباحث

كنز فوتوغرافي من القرن 19 بدر الحاج

العمراني لبيروت التي تحولت من بلدة صغيرة في مطلع القرن التاسع عشر إلى مدينة ضخمة في مطلع القرن العشرين قُدّر عدد سكانها بحوالي مئة ألف ونيّف، وإلى المرفأ الأكثر نشاطاً وحيوية على الصعيدين الاقتصادي والتجاري، والمركز التعليمي الأول في سورية.

اعتمدت في توثيق هذا القسم على بعض الصحف الصادرة في بيروت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إضافة إلى مصادر وتقارير فرنسية وبريطانية وأعمال أكاديمية مختلفة.

وباعتقادي أنّ هذا القسم يضع القارئ في جو تطور المدينة العمراني والاقتصادي واتساعها، وهو الأمر الذي دفع بالعديد من المصورين الأجانب إلى الإقامة فيها والعمل على إنتاج كمية ضخمة من الصور الفوتوغرافية لسورية ومصر واسطنبول واليونان بحيث فاق الإنتاج البيروتي من حيث الكمية إنتاج أي مدينة أخرى في سورية.

أما القسم الثاني فهو عبارة عن تقييم وتحليل لمضمون الصور المنتجة وبنيتها، التي كان القسم الأكبر منها موجهاً لاستهلاك السوق الأوروبية والأميركية، وبالتالي كان مرتبطاً بمتطلبات تلك السوق. أضفت إلى هذا القسم مجموعة من صور النساء العاريات أو شبه العاريات وقد

تمكك صور النساء العاريات نموذجا صارخا للرؤية الاستشراقية إلى المرأة في بلادنا

لقد تم بنجاح تدمير النسيج العمراني المتناسق للمدينة بشكك شبه كامل

الذي انتجت من خلاله. وعلى هذا الأساس، قسّمت الكتاب إلى ثلاثة أقسام هي التالية: القسم الأول هو عبارة عن معلومات مكثفة عن مدينة بيروت منذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى بدء الحرب العالمية الأولى، حين دخلت المدينة في مرحلة مختلفة تماماً عما سبق. في خلال تلك الفترة، تشكل النسيج

راودتني فكرة إصدار هذا الكتاب بعدما تراكمت في مجموعتي الخاصة صور غير معروفة سابقاً جرى التقاطها في بيروت منذ مطلع خمسينيات القرن التاسع عشر وحتى العقد الأول من القرن العشرين. خلال تلك المرحلة، حدثت تطورات جذرية في المدينة على كافة الأصعدة. لذلك رأيت ضرورة نشر ما توافر لدي من وثائق مرئية بواسطة التصوير الشمسي بهدف القاء مزيد من الأضواء على تطور المدينة العمراني. وعلى الرغم من أنّ معظم المصورين المحترفين كانوا قد التقطوا صورهم في بيروت من زوايا شبه متقاربة، إلا أنّ ما نشرته في هذا العمل يختلف بعض الشيء عما سبق أن نُشر. وهذا، باعتقادي، ما يتكامل مع العمل الأكاديمي الرائع الذي أصدره بالفرنسية الراحل فؤاد دباس تحت عنوان «مصورون في بيروت 1840 - 1918» (باريس 2001).

وقد استعنت ببعض الصور من مجموعة الدباس بهدف إغناء هذا العمل، كما تعمدت نشر الصور الفوتوغرافية فقط وتجاهلت استعمال البطاقات البريدية. رأيت أنّ نشر هذه الصور لا بد من أنّ يرافقه تقييم لها وتحليل لبنيتها، والظروف التي التقطت فيها. لذلك قمت بشرح مختصر للإطار التاريخي والاقتصادي



لودفيكو هارت (Ludvico Hart) - حملات من بيروت، سنة 1865



جان - باپتيسه شارليه (Jean Baptiste - Charlier) - المدينة القديمة والمرفأ، حوالي سنة 1880

المصور مجهول - سياح اجانب في قلعة بعلبك، سنة 1886

